بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 11 يوليو 2019

نقد ترجمة القرآن إلى الفارسيّة

سورة القارعة أنموذجاً

شهريار نيازي و **رحيم حمداوي**
باحثان إيرانيان

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

الملخّص:

ننوي في هذه الدراسة النظر في ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفارسيّة، وعلى وجه التحديد ترجمة سورة القارعة. وقد اخترنا ترجمة مترجمَين إيرانيين بارزين؛ الأوّل: مكارم الشيرازي، وهو مرجع تقليد الشيعة، والثاني: إلهي قمشه أي، وهو فيلسوف وعارف شهير، إذ يختلف أسلوب المترجمين في اختيار مسار الترجمة، نريد الردّ على هذا السؤال: هل تمكّنا من نقل الفحوى إلى القارئ الفارسي أم لا؟ طبيعة العلاقة بين العربيّة والفارسيّة تمنع المترجم من تقديم المزيد من المفردات لتبيين المراد. إذ تتكوّن الفارسيّة ممّا يزيد على ستين بالمئة من المفردات العربيّة، وهذا يجعل الترجمة أمراً صعباً، وخاصة أنّ المفردات تتكرّر في اللغتين لكنّها تختلف في الاثنتين، ويبلغ الاختلاف أشدّه في بعض المفردات. وقد اخترنا سورة القارعة لهذه الدراسة، ونظرنا في الآيات الأولى حتى الخامسة والآية التاسعة دون غيرها، لأنّنا نرى أنّ الآيات هذه جمعت كلّ ما تريد قوله في محاولة لرسم معالم الآخرة.

أوّل الكلام:

إنّ الترجمة كانت ومازالت تشكّل ذلك الجسر الأبرز الذي يربط الشعوب بعضها ببعض، وكلّما تطوّرت الأمم، ازدادت الترجمة أهميّة وشأناً. يكتسب الأمر أهميّة فيما يتعلق باللغتين العربيّة والفارسيّة، وخاصّة أنّ الشعبين يعيشان في جوار بعضهما بعضاً، وكانت العلاقات في شتى المجالات ومنذ بداية التاريخ تربطهما معاً سواء التجاريّة في بداية الأمر أو الثقافيّة المتمثلة في الدين بعد ظهور الإسلام. فمن جهة أراد الإسلام مثله مثل أيّ عقيدة أخرى الانتشار، فلم يكن له مفرّ من الانتشار في الجوار أوّلاً، ومن جهة أخرى كانت الترجمة تمثل الوسيلة الوحيدة لتلك العمليّة المعقدة؛ أقصد نشر الدين الإسلامي. يحدّثنا التاريخ بأنّ العلاقة الثقافيّة قد بدأت بين الشعبين بعد ظهور الإسلام مباشرة، حيث أرسل النبي الأكرم الرسائل إلى الملوك ومنهم ملك بلاد فارس. فهنا كتبت أولى المحاولات الدينيّة للإسلام في ترجمة فحوى الرسالة إلى الفارسيّة، وإن ما زلنا لم نلمّ بالحيثيّات، أضف إلى هذا تلك الأخبار التي تتحدّث عن أنّ سلمان الفارسي كان أوّل من ترجم بعض القرآن إلى الفارسيّة، هذا إذا صدقت تلك الروايات وخرجت سالمة في مواجهة الأبحاث التاريخيّة الحديثة. عند النظر في ترجمة معاني القرآن إلى الفارسيّة نرى أنّ الفرق يرتسم في أسلوب الترجمة، النقل هنا يفتح نافذة يطلّ بها الآخر على عالم المفردات، مفردات لا قداسة لها إلا عندما تدخل مدوّنة مقدّسة رسميّة. فما إن ظهرت النصوص المقدّسة حتى أسرع أتباعها إلى نشر دينهم. وأوّل ما كان عليهم القيام به هو نقل النصوص إلى لغة الآخر حتى يعرف مغزى الرسالة وفحواها. فهنا ظهرت الترجمة، وهي لها تاريخ يمتدّ إلى تاريخ نشر الدين لكن بصورة غير ممنهجة في بداية أمرها، إذ كانت تعتمد على أشخاص عاشوا الثقافتين، حتّى ظهرت النظريّات الحديثة في الترجمة فشاهدنا تصنيفات للترجمة. يوجد ما يزيد على (300) ترجمة للقرآن باللغة الفارسيّة. إذا ما نظرنا إلى الترجمات في جانب المفردات ونقلها إلى الفارسيّة، نرى اختلاف المناهج، منها نقل المفردة إلى الفارسيّة كما يطلق عليها «الفارسيّة الأصيلة» كما ظهرت في بواكيرها، ولم تمتزج واللغات الأخرى وخاصّة العربيّة، أو الإبقاء على الكلمة كما هي، وحذف ألف لام التعريف. في هذا البحث ألقينا نظرة على صعوبات ترجمة معاني القرآن من الفارسيّة إلى العربيّة، وكان لا بدّ لنا من التمهيد للأمر فخضنا في قضيّة العلاقة بين الفارسيّة والعربيّة وانتقلنا إلى البحث في جوانب الفارسيّة الحديثة لنرسم صورة في مخيّلة القارئ العربي عن هذه اللغة، ثمّ تحدّثنا عن خصوصيّات اللغة الفارسيّة وكذلك عن صعوبات الترجمة من الفارسيّة إلى العربيّة، ثمّ انتقلنا إلى صلب الموضوع ألا وهو نقد ترجمة القرآن وعلى وجه التحديد ترجمة سورة القارعة.

ترجمة معاني القرآن إلى الفارسيّة ـ نظرة تاريخيّة:

إنّ جذور الترجمات وأصلها من اللغة العربيّة إلى غيرها من اللغات كالفارسيّة والحبشيّة ترجع إلى عهد الرسول بصفة عامّة، كما جاء أنّ هرقل دعا أبا سفيان ومن معه من كفار قريش ودعا بترجمانه ثمّ دعا بكتاب الرسول الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[1])».[2]

وجاء في صحيح مسلم[3] باب كتب النبي إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ثمّ ذكر بإسناده عن أنس أنّ نبي الله كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي يدعوهم إلى الله. لا مجال للشكّ أنّ هذه الرسائل إذ تُرجمت فإنّها كانت تهدف إلى إبلاغ الدعوة الإسلاميّة إلى المرسَل إليهم ولا يتحقق الغرض إلا بترجمتها إلى لغتهم، فيؤخذ من ذلك مبدأ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى ومن بينها الفارسيّة.

وقد أثيرت قضيّة القراءة في الصلاة باللغة الفارسيّة مبكراً وطرحت المسألة على بساط النقاش في عصر التابعين عندما وجد من يعجز عن القراءة بالعربيّة، فأجاز أبو حنيفة ذلك ومنعها الأئمة الثلاثة. فهذه القضيّة تدلّ على قضيّة الترجمة وتناول الأئمة لها مبكراً. كما قال محمّد بن أحمد السرخسي المتوفى 483 للهجرة في المبسوط: [4] قال أبو حنيفة بجواز القراءة بغير العربيّة في الصلاة كأن يقرأ بالفارسيّة. واستدلّ على ذلك بما روي أنّ الفرس كتبوا إلى سلمان أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسيّة فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربيّة.[5] وروى الطبري في تاريخه أَنَّ رستم دعا بالمغيرة فجاء حتى جلس على سريره ودعا رستم ترجمانه وكان عربيّاً من أهل الجزيرة يدعى عبود، فقال له المغيرة: ويحك يا عبود أنت رجل عربي فأبلغه عنّي إذا تكلمت كما تبلغني عنه فقال له رستم مثل مقالته وقال له المغيرة مثل مقالته، ولا شكّ أنّ

1. آل عمران، 64.
2. شروح الحديث، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، كتاب بدء الوحي ص 67.
3. شروح الحديث، شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، دار الخير، سنة النشر: 1416هـ / 1996م، ص 453.
4. المبسوط، محمّد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، دار المعرفة - بيروت، 1414هـ -1993م. جزء 1 ص 37
5. عز الدين حسين الشيخ، الامام محمّد بن الحسن الشيباني محدّثاً وفقيهاً، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1993، ص 114.

المترجم ترجم ما قاله المغيرة لرستم بما فيه ترجمة الآية المذكورة في مقالة المغيرة وبذلك حصلت ترجمة معاني جزء من الآية باللغة الفارسيّة.[6]

وقد تقدّم ذكر بعض التابعين الذين فسّروا بعض الكلمات والجمل القرآنيّة بالفارسيّة، ومنها ما ذكره ابن جرير في تفسيره[7] عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، [8] فقال كورت غورت وهي بالفارسيّة كور تكور وقال أيضاً كورت كوراً بالفارسيّة. هذا وقد ذكر الجاحظ[9] قصّة تدلّ على اهتمام العلماء قديماً بترجمة القرآن في حلقات ودروس خاصّة، حيث قال: "موسى بن يسار الأسواري وعمرو بن قاد الأسواري وكان أوّلهما من عجائب الدنيا فكانت فصاحته بالفارسيّة في وزن فصاحته بالعربيّة، وكان يجلس في مجلسه المشهور ويقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره، ثمّ يقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها بالعربيّة للعرب ثمّ يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم فلا يدري بأيّ اللسانين هو أبين".[10]

هناك نقطة مثيرة للانتباه ذكرها الدكتور فضل الهادي بأنّ التفسير باللغة الفارسيّة بالرغم من نشأته المبكرة بقي غير مدوّن حتى نهاية القرن الثالث الهجري، حيث لا تشير المصادر الماثلة بين أيدينا إلى لفتات لتدوين التفسير بالفارسيّة قبل هذا التاريخ باستثناء ما قيل عن ترجمة سلمان الفارسي لمعاني سورة الفاتحة وكتابتها في القرن الأوّل.[11]

كما يرفض البلوشي أنّ سلمان الفارسي كان أوّل من ترجم القرآن إلى الفارسيّة. "بل هناك قول مشهور على الألسنة بخصوص أنّه أوّل من ترجم معاني القرآن الكريم باللغة الفارسيّة وهذا أكثر ما اشتهر في إيران وباكستان والهند، ومع اشتهار هذا القول لم أقف على مستند يذكره، ومثل هذا الأمر المهم لو حصل لا يمكن أن تغفله المصادر التي ترجمت لسلمان الفارسي فلا يُعوّل عليه".[12] مع أنّ بعض المصادر ذكرت أنّ سلمان الفارسي ترجم معاني سورة الفاتحة بإذن من رسول الله وموافقته وأوّل من ذكر هذا الأمر شاهفور بن طاهر الإسفراييني المتوفى 471 في مقدّمة كتابه "تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم".[13]

---

6. تاريخ الطبري (3/524-525) حوار النعمان.

7. محمّد بن جرير الطبري، دار المعارف الجزء الرابع والعشرون ص 235.

8. التكوير 1.

9. البيان والتبيين للجاحظ: 196 دار الكتب العلميّة. بيروت.

10. الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق محمّد عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، 1955 ج 1، ص 75-79.

11. التفاسير باللغة الفارسيّة واتجاهاتها، للدكتور فضل الهادي وزين محمّد عمر، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمّد بن سعود - كليّة أصول الدين - قسم القرآن. وعلومه 1416هـ. ع. ج 1، ص 62.

12. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، تاريخ تطوّر ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسيّة، مجمّع الملك فهد، ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل، المدينة المنوّرة، 2001، ص 6.

13. طبع في ثلاثة مجلدات /ط1/ بتصحيح نجيب مايل هروي، طهران.

أخذ الأمير منصور بن نوح الساماني، وهو من أمراء السلالة السامانيّة الحاكمة في منطقة ما وراء النهر (القرنين التاسع والعاشر الميلاديين)، فتوى من علماء عصره لترجمة القرآن إلى الفارسيّة عندما شعر أنّ هناك صعوبة في فهم القرآن لدى الفرس. وبترجمة كتاب "جامع البيان في تفسير القرآن" للمؤرّخ والمفسّر الإسلامي الكبير "محمّد بن جرير الطبري"، تمّت أوّل ترجمة كاملة للقرآن إلى اللغة الفارسيّة. غير أنّ الترجمة لم تنشر بصورة منفصلة من التفسير بل بقيت كملحق له.

تجب الإشارة إلى أنّ إحدى أعرق التراجم للقرآن إلى الفارسيّة تمّت في القرن الحادي عشر الميلادي، وهي كتاب تفسير التفاسير لأبي بكر عتيق بن محمّد السورآبادي النيسابوري. النثر الفارسي للترجمة التي برع بها السورآبادي يُعدّ نثراً فخيماً ومسجعاً وفصيحاً، تأثرت به الأجيال المتعاقبة من الشعراء والكتاب الفرس ونهلوا من أدبيته وفصاحته. وقد توالت تراجم المصحف إلى الفارسيّة في العصر القديم، أهمّها قرآن القدس، [14] وتاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم، وكشف الأسرار وعُدّة الأبرار[15]؛ غير أنّها كانت دائماً ملحقة بتفاسير القرآن لأسباب ذكرناها سابقاً. وقد بلغت التراجم التي تمّت من النسخ المخطوطة للقرآن إلى الفارسيّة نحو (300) ترجمة، وهي إمّا ترجمة لكلّ القرآن وإمّا لأجزاء منه، وفي العصر الحديث بدأت التراجم الفارسيّة للمصحف تنشر من دون أن تكون ملحقة للتفاسير. وقد بلغت هذه التراجم في العهد الحديث أكثر من (30) ترجمة.

في الحقيقة ما تمّت ترجمته من القرآن إلى الفارسيّة بعد قيام الثورة في إيران، وهي نحو (15) ترجمة، تظهر مدى الاهتمام الكبير للمترجمين الإيرانيين بترجمة النصّ الكامل للقرآن في عهد الجمهوريّة الإسلاميّة. ويعود ذلك إلى دعم السلطة لمترجمي القرآن أوّلاً، وإقبال الجماهير الفارسيّة على قراءة القرآن باللغة الفارسيّة ثانياً. كما لا ننسى أنّ بعض الشعراء والروائيين الإيرانيين أخذوا يهتمّون بقراءة التراجم الفارسيّة للقرآن وخصوصاً تلك المترجمة بطريقة أدبيّة ولغة فارسيّة فخمة وأنيقة لأغراض أدبيّة، الأمر الذي يذكّرنا بأجداد هؤلاء من أمثال الفردوسي وناصر خسرو البلخي ومولانا الرومي وحافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي الذين تأثّروا بالقرآن. فعلى سبيل المثال كان حافظ الشيرازي، وهو أعظم شاعر فارسي على الإطلاق (وهو يعادل المتنبّي بين العرب)، يحفظ القرآن عن ظهر قلبه بأربع عشرة رواية مختلفة. ويعترف بعض الأدباء الإيرانيين أنّه لو لم ينهل حافظ الشيرازي من الأدب العربي الجاهلي والإسلامي وخصوصاً من القرآن لما أصبح شاعراً عالميّاً يعتزّ به الشاعر الألماني الكبير غوته ويعنون أحد دواوينه باسمه.

14. نسخة من الترجمة الفارسيّة للقرآن، ويقال إنّها أقدم ترجمة للقرآن إلى الفارسيّة. كتبت بالخط الكوفي، عثر عليها عام 1966 في متحف الروضة الرضويّة. قام علي رواقي بنشرها بعد مرور ما يقارب عقدين على العثور عليها. يقال إنّها كُتبت بين أعوام 250 حتى 350 للهجرة.

15. أصل هذا التفسير للخواجا عبد الله الأنصاري، ثمّ بسطه ووضّح مبانيه المولى أبو الفضل رشيد الدين الميبدي. نشرته جامعة طهران عام 1961.

أمّا في العهد القاجاري (1770 - 1925)، فلم تكن هناك إلّا ترجمة واحدة مهمّة للقرآن وهي لمحمّد طاهر المستوفي الشيباني المعروف ببصير الملك، الذي كان من مثقفي بلاط الشاه ناصر الدين القاجاري. وفي عهد الشاه رضا البهلوي (1925 - 1941) الذي كان يكنّ العداء للإسلام والعرب، لم تظهر سوى ترجمتين فارسيتين للقرآن: الأولى لعبد الحسين آيتي، والأخرى للشيخ محمّد كاظم المعزي. وفي عهد الشاه السابق (1941 - 1979) ظهرت تراجم للقرآن إلى الفارسيّة أهمّها للمترجمين: مهدي محيي الدين إلهي قمشه أي، وعلي نقي فيض الإسلام، وأبو القاسم باينده. وتعتبر ترجمة قمشه أي من أكثر التراجم الفارسيّة للقرآن رواجاً في إيران على الإطلاق خلال العقود الخمسة الماضية. كما قام مهدي قمشه أي بترجمة الصحيفة السجّاديّة للإمام زين العابدين بن الحسين، ودعاء مفاتيح الجنان إلى الفارسيّة؛ والدعاء الأخير هو من أشهر الأدعية لدى الطائفة الشيعيّة. إذ كانت ترجمة قمشه أي نقطة ختام للترجمة الفارسيّة الحرفيّة للنصّ القرآني في تاريخ هذه الترجمة. ومن أبرز التراجم الفارسيّة للقرآن بعد قيام الثورة الإيرانيّة يمكن أن نشير إلى ما قام به في هذا المجال عبد المحمّد آيتي وجلال الدين فارسي وآية الله مكارم الشيرازي ومحمّد مهدي فولادوند وبهاء الدين خُرّم شاهي. ويعترف معظم المترجمين للقرآن في إيران أنّه -وعلى رغم تطوّر اللغة الفارسيّة ومفرداتها قياساً بالقرون المنصرمة، وعلى رغم الدقة التي يبذلها المترجمون الذين يتقنون اللغة العربيّة- ما تزال هناك هفوات في تراجم القرآن إلى الفارسيّة.

وكما يقول الدكتور فضل الهادي إنّه رغم ضخامة المكتبة القرآنيّة باللغة الفارسيّة وأهميتها العلميّة إلّا أنّها ظلت محجوبة إلى اليوم عن العالم الإسلامي عموماً وعن البلاد العربيّة خصوصاً؛ ونتيجة لذلك فقد ظلت الأوساط العلميّة والمشتغلون بالدراسات القرآنيّة عديمي الاطلاع على جزء كبير من تراث الأمّة حول التفسير وحول الترجمة وعلوم القرآن في العصر الذي صار تبادل المعارف والثقافات بين الشعوب أمراً متداولاً ومألوفاً حيث يعتبر التبادل العلمي والمعرفي سمة من سمات العصر الذي نعيشه اليوم، [16] فلا شكّ أنّ هذا التراث الضخم بحاجة إلى دراسة وافية وتصفية كاملة لينشر المفيد منه ويحذر من غير المفيد أو يحقق ويعلق عليه.

اللغة العربيّة والفارسيّة علاقة تاريخيّة:

يمكن القول إنّ تأثير لغة ما على أخرى يتخذ عدّة حالات؛ الأولى: أن تكون اللغتان إلى جانب بعضهما بعضاً، وكلّ منهما يستعملها الناطقون بهما دون أن يضيع أيّ منهما. والثّانية: أن تتغلب لغة قوم يهاجرون إلى منطقة أخرى على اللغة الأصليّة لهذه المنطقة وتمحوها، وفي هذه الحالة فإنّ اللغة الزّائلة يُقال لها القشر

16. التفاسير باللغة الفارسيّة واتجاهاتها، للدكتور فضل الهادي وزين محمّد عمر، مصدر سابق، ص7.

الأسفل. الثالثة: أن يفقد القوم المهاجرون لغتهم ويتّخذوا اللغة الأصليّة للمنطقة الجديدة، وفي هذه الحالة يقال للغة القوم المهاجرين التي زالت وتركت أثراً في القوم الأصليين القشر الأعلى. الرابعة: أن يأخذ القوم الخاضعون لسلطة الآخر من لغته ما ينفعهم ويتركوا الباقي، ثمّ يقوم القوم بإحداث تغييرات كبرى في تلك المفردات معطين إيّاها طابعاً جديداً لا تفهم ولا تستوعب إلّا من خلال استيعاب عقليّة القوم المغلوبين. الحالة الرابعة هي التي حدثت للفارسيّة بالنظر إليها في يومنا هذا، إذ نرى مفردات عربيّة كثيرة تستخدم فيها، لكنّها تحمل معنى آخر، ربّما يخالف المعنى العربي الذي يقصده العربي. على سبيل المثال إذا كانت مفردة "بنك" تعني في العربيّة "مصرف" فمفردة مصرف في الفارسيّة تعني الاستهلاك، ومن الطريف أنَّ مفردة استهلاك تستخدم في الفارسيّة لكنّهم لا يستخدمونها كما يحمل المدلول العربي للمفردة.

السؤال الملحّ الذي يطلّ برأسه عندما نريد دراسة العلاقة التاريخيّة بين العربيّة والفارسيّة هو: هل هناك أيّ رابط بين اللغتين؟ يردّ علينا الدكتور فؤاد عبد المعطي قائلاً: اللغة العربيّة من اللغات الساميّة، أمّا اللغة الفارسيّة، فهي لغة آريّة، إذاً ليس هناك أيّ رابط بين هاتين اللغتين، أي العربيّة والفارسيّة، لا في الأصل ولا في الاشتقاق، ولكن وصل بينهما التاريخ وربطت بينهما الحضارة، فكان بينهما من الصلات ما لم يكن بين اللغات التي هي من أصل واحد ونسب واحد.[17]

أمّا في الجانب التاريخي وفيما يتعلق بالعلاقة بين الشعبين القاطنين بجوار بعضهما بعضاً، فلا بدّ لنا من الذكر بداية أنّ التواصل بين الشعوب القاطنة في فارس والجزيرة العربيّة وبلاد الرافدين لم ينقطع أبداً منذ بداية التاريخ، بل إنّ التكامل بين جميع القبائل القاطنة فيها كان كبيراً، وقد اشتدّ وتوثق بعد رسالة النبي، أو في فترة الحضارة الإسلاميّة. فقد نظر العديد من الباحثين إلى هذا التقارب من وجهتي نظر متطابقتين في المضمون، مختلفتين في المبنى والتسمية، فجاءت أبحاثهم تحوي العديد من الأدلة التي تدلّ على التقارب؛ القسم الأوّل القديم منها اعتبر أنّ اللغة العربيّة اقترضت من الفارسيّة الكثير وأنّ الفارسيّة اقترضت من العربيّة أكثر، حتى بات من الصعب الحكم على مبتدأ الكلمات هل كان فارسيّاً قديماً أم عربيّاً قديماً، والقسم الثاني الحديث الذي يعتبر أنّ جميع اللغات من ساميّة وهنديّة وأوربيّة وحاميّة هي في الأصل لغة واحدة.[18]

ملخص القول إنّ الصلة قويّة بين اللغتين العربيّة والفارسيّة حتى قبل الإسلام؛ لكن بعد الإسلام ترسّخت اللغة العربيّة في قلوب الناس، لأنّها لغة دينهم ولغة القرآن ولغة خاتم الأنبياء وأحكام دينهم وحياتهم، حتى وصل الأمر إلى حدّ أن طغت اللغة العربيّة على الفارسيّة وحلّت محلّها في التأليف والتدوين

17. الصياد، فؤاد عبد المعطي: القواعد والنصوص الفارسيّة، بيروت: دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، 1986، ص 9.

18. ذوق، محمّد رشيد ناصر، بين العربيّة والفارسيّة -مقارنة لغويّة، نشر في موقع ديوان العرب، بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) ٢٠٠٨.

مدّة ثلاثة قرون، ثمّ نهضت الفارسيّة شيئاً فشيئاً بجانب العربيّة، فدوّنوا كتباً في الأدب والشعر والتفسير وغيرها باللغة الفارسيّة.[19]

لعلّ هذا ينفعنا في الجانب التاريخي لعلاقة الشعوب، وهو ليس بموضوع بحثنا، أمّا ما نريد التركيز عليه، فهو دخول مفردات كلّ من اللغتين في اللغة الأخرى. وفيما يتعلق بدخول اللغات العربيّة في الفارسيّة فالواضح هو أنّ الكثير من الألفاظ العربيّة دخلت إلى اللغة الفارسيّة بعد الفتح الإسلامي لإيران، مثلما دخلت الحروف العربيّة جميعها من الألف إلى الياء، واستمرّت هذه الحال حتى القرن الخامس الهجري، حيث كانت أغلب الألفاظ الإداريّة والدينيّة المستخدمة في بلاد فارس عربيّة، ولا بديل لها في اللغة الفارسيّة أحياناً. وهكذا كانت الحال في فنّ البديع والشعر، فقد غلب اللفظ العربي على اللفظ الفارسي لجماله وقصره ودلالته، مثل: الزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والمؤمن، والكافر وغيرها. أو لأنّه لم تحمل الفارسيّة مفردات تعبّر عن مدلول تلك المصطلحات التي أصبحت تحمل طابعاً دينيّاً بحتاً لغيابها عن العقليّة الفارسيّة. صحيح أنَّ اللغة العربيّة لم تصبح اللغة الرسميّة في إيران لكنّها كانت لغة النخبة الكبيرة من المتنفذين والمثقفين والسياسيين، وفحول شعراء الفارسيّة ولغة الديوان، ومع مرور الزمن وتمسّك النخبة من رجال بلاد فارس بإتقان اللغة العربيّة ومزجها باللغة والأدب الفارسي، أصبح للغة الفارسيّة شكل وكيان جديدان. أو على حدّ تعبير العلمي: فإنّ "الفارسيّة أخذت أيضاً كثيراً من المفردات ثمّ خصّصت معانيها وحدّدتها".[20]

أمّا إذا ما نظرنا إلى اللغة الفارسيّة في يومنا هذا، فإنّه يمكننا تلخيص تأثير العربيّة فيها من خلال المحاور التالية:

أوّلاً: استخدام الحرف العربي في الكتابة: استخدم الإيراني الحرف العربي في الكتابة وذلك لصعوبة الكتابة بالحروف البهلويّة، ولما فيها من تعقيد في رسم الحرف عند الكتابة، لذلك كان الإيراني غير مستعد لتعلمها وهو يجد ضالته في الحرف العربي لسهولة الكتابة به. ومن هنا جاء فضل العربيّة على الفارسيّة في إتمام النقص وسدّ الحاجة من المفردات والاصطلاحات المنتشرة في اللغة الفارسيّة مع انتشار الإسلام والعربيّة في بلاد الشرق المسلم، وبحلول الخطّ العربي محلّ الخطّ البهلوي كان لزاماً أن يرسموا أبجديتهم كرسم الأبجديّة العربيّة، واخترعوا رسماً لأربعة حروف لا وجود لها في العربيّة، وهي (پ، ژ، چ، گ)، فرسموها هكذا لقربها من نطق الحروف (ب، ز، ج، ك).[21]

19. البلوشي، عبد الغفور بن عبد الحق، تاريخ تطوّر ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسيّة، مصدر سابق ص 7.
20. العلمي، إدريس بن الحسن، في التعريب، جمعه وقدّم له أمل العلمي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص 47.
21. التونجي، محمّد، التسرّب اللغوي بين العربيّة والفارسيّة، مجلة الدراسات الأدبيّة: الجامعة اللبنانيّة، السنة السابعة، العددان 1 و2، ص 129.

ثانياً: استخدام المصطلحات العربيّة وإدخالها إلى ثنايا القاموس الفارسي: أدّى الانتقال الكبير من استخدام اللغة البهلويّة إلى اللغة العربيّة واستعمال الحرف العربي للكتابة بعد الفتح الإسلامي لإيران ومن ثمّ استعمال لغة جديدة وهي اللغة الدريّة، أدّى كلّ ذلك إلى الاستعانة باللغة العربيّة لتكون المنهل الرئيس للغة الفارسيّة الجديدة والمورد الذي تستقي منه اللغة الفارسيّة كلّ ما يلزمها من كلمات ومصطلحات، لتغني بذلك قاموسها خصوصاً في نهضتها الفتيّة، فقد استعارت هذه اللغة من العربيّة الكثير من المعاني والمصطلحات بشكل عام والدينيّة والفقهيّة بشكل خاص.[22]

تاريخيّاً، وبعد مجيء السلاجقة إلى الحكم، أصبحت اللغة الفارسيّة لغة البلاط والأدب، ممّا أدّى إلى إضعاف نفوذ اللغة العربيّة، لكنّها لم تفقد مركزيتها لأنّها استمرّت لغة العبادة والفقه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قيام المدارس النظاميّة التي أنشئت في هذا العهد وبرعاية واهتمام عربي وذلك تطبيقاً لسياسة السلاجقة الدينيّة المحافظة[23]، ممّا دفع إلى زيادة دخول المفردات والمصطلحات العربيّة إلى اللغة الفارسيّة، [24] فظلت اللغة العربيّة هي اللغة الرئيسة للتعبير عن مظاهر الحضارة الإسلاميّة من طبّ وعلوم وفلسفة وغيرها. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ مشاهير الفلاسفة والعلماء من أمثال: الغزالي وابن سينا والرازي كتبوا معظم مؤلفاتهم بالعربيّة مع قدرتهم العالية على الكتابة باللغة الفارسيّة، وما هذا إلّا لأنّ اللغة العربيّة هي لغة الحضارة الإسلاميّة، بالإضافة إلى طواعية اللغة العربيّة في الاشتقاق والتعبير عن كافة الأفكار المستجدّة.[25]

من كلّ ذلك نلاحظ الفضل الكبير للغة العربيّة على اللغة الفارسيّة وعلى سكّان هذه البلاد، إذ أعانتهم اللغة العربيّة على التخلص من اللغات القديمة والصعبة التي عانى منها سكّان هذه المنطقة لصعوبة الكتابة بها وتعلمها ولكثرة حروفها وتغيّرها المستمر على مرّ العصور، وهذا لا يعني أنّ اللغة الفارسيّة لم تكن مؤثرة على اللغة العربيّة وخاصّة قبل انتشار الإسلام ودخول إيران في الدين الإسلامي، فقد أخذت اللغة العربيّة من اللغة الفارسيّة العديد من المفردات وبالإمكان تصفّح المعاجم العربيّة وملاحظة هذا الشيء، وقد كتب المؤلف إلى جوارها إنّها أعجميّة أو فارسيّة أو معرّبة.[26]

22. الصياد، فؤاد عبد المعطي: القواعد والنصوص الفارسيّة، مصدر سابق، ص 11.

23. بهار، محمّد تقي: سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي، مجلد 3، طبعة 4 (طهران مؤسسة انتشارات امير كبير، 1321 هـ. ش)، ص 232.

24. الكك، فيكتور: فصول من معالم التراث الفارسي (بيروت: مؤسّسة التخصّص للخدمات الجامعيّة، 1975)، ص 27. عن: الخالدي عبد الله، والمجذوب طلال: مفتاح اللغة الفارسيّة، (بيروت: دار الحق، 2001ص 23.).

25. المصدر نفسه، ص 23.

26. حسين، إياد محمّد، العوامل المؤثرة في تطوّر اللغة الفارسيّة، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانيّة، العدد الخامس، عام 2013.

ملخّص القول إنّه كان للغة الفارسيّة القديمة الفضل الكبير في حلّ رموز اللغة المسماريّة البابليّة والتعرّف من خلالها على أولى الحضارات في العالم. كما كان للغة الفارسيّة الأثر الكبير في نقل حضارات البلدان الآسيويّة إلى الحضارة العربيّة والإسلاميّة، ومن جهة أخرى كان للحرف العربي الأثر الكبير في رسم شخصيّة اللغة الفارسيّة الحديثة، من خلال استخدام الحروف العربيّة في الكتابة والاستغناء عن الحروف الفارسيّة (البهلويّة) القديمة المستخدمة قبل دخول إيران في الدين الإسلامي.[27]

اللغة الفارسيّة الحديثة

اللغة الفارسيّة الحديثة هي امتداد للغة الفارسيّة القديمة واللغة البهلويّة على مدى تاريخها، أي من بداية الدولة الإشكانيّة (250 ق.م) وحتى انهيار الدولة الساسانيّة ودخول الدين الإسلامي إلى بلاد فارس، وعلى أثر انهزام الملك الإيراني (يزد جرد الثالث) وبشكل نهائي وكان ذلك في معركة (نهاوند) التي عرفت عند المسلمين بـ (فتح الفتوح) سنة (21هـ - 642م).[28] وبعد الفتح العربي الإسلامي لإيران ظلت اللغة البهلويّة هي اللغة الرائجة والسائدة في بلاد فارس فهي اللغة الرسميّة والأدبيّة والسياسيّة والدينيّة في إيران، [29] وبما أنّ اللغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم وهي اللغة التي جاء بها الدين الإسلامي، فقد كان لزاماً على كلّ من يدخل هذا الدين أن يتعلم اللغة العربيّة وأن يجيدها لفهم تعاليم هذا الدين الجديد. لذلك كان على الإيرانيين أن يتعلموا اللغة العربيّة، فقد أقبلوا عليها إقبالاً شديداً لتعلمها وتعلم الكتابة بها. ولم يكن هذا الإقبال من أجل الدين فقط ولكن لعدّة أسباب أخرى من أهمها: [30]

1- لم تكن الكتابة البهلويّة شائعة بين الفرس، فقد كانت محصورة بين طبقة الكتّاب (دبيران) وحدهم؛ الأمر الذي دعا الإيرانيين إلى تركها والبحث عن لغة أخرى.

2- لم تعد اللغة البهلويّة صالحة لأن تكون لغة الفرس بعد اعتناقهم الإسلام، وذلك لأنّها ارتبطت في أذهانهم بالديانة الزرادشتيّة المجوسيّة فنفروا منها.

27. المصدر نفسه.

28. الصيصي، إغناطيوس: اللغة الفارسيّة (خطوة خطوة)، ط1، (بيروت: دار الروضة، 1997)، ص18.

29. الخالدي، عبد الله، المجذوب، طلال: مفتاح اللغة الفارسيّة، مصدر سابق، ص 14.

30. الصياد، فؤاد عبد المعطي: القواعد والنصوص الفارسيّة، مصدر سابق، ص 10، 11، وينظر: عبد الله الخالدي، طلال المجذوب: مفتاح اللغة الفارسيّة، ص 14، 15.

3- امتازت اللغة البهلويّة بحروفها المعقدة التي تحتاج إلى وقت طويل لتعلمها وتعلم رسم حروفها، ولم يكن الفارسي المسلم مستعدّاً لتعلمها وأن يبذل مجهوداً كبيراً لذلك، في حين أنّ أمامه الحروف العربيّة سهلة مستساغة وهي الحروف نفسها التي كتبت بها لغة القرآن الكريم.

4- بما أنّ اللغة العربيّة هي لغة الحُكم والإدارة في الدولة الإسلاميّة الجديدة، لذلك كان واجباً على كلّ من يرغب بالدخول في الجهاز الإداري أن يتعلم العربيّة وأن يحسن قراءتها وكتابتها.

5- إنّ هجرة العديد من القبائل العربيّة إلى إيران وانتشارها في أنحاء مختلفة منها واستقرارها فيها ساعد على سرعة انتشار اللغة العربيّة في إيران.

فكما مرّ بنا الحديث أصبحت اللغة العربيّة لغة النخبة الكبيرة من المتنفذين والمثقفين والسياسيين، وفحول الشعراء الفرس ولغة الديوان، بل واللغة الأدبيّة والعلميّة في إيران، إذ أصبحت لغة مفهومة لدى معظم أفراد الشعب الإيراني، إلّا أنّها لم تصل إلى حدّ أن تكون اللغة المحكيّة ولغة المخاطبة، لذلك ظلت اللغة البهلويّة سائدة لدى فئات الشعب، وإن تسرّبت إليها مفردات ومصطلحات عربيّة، وخصوصاً في المسائل الدينيّة والفقهيّة وكذلك في الشؤون الإداريّة والسياسيّة وفي القضايا الأدبيّة والعلميّة.[31] وقد نشأت عن تفاعل اللغة البهلويّة واللغة العربيّة لغة جديدة عرفت بـ (الفارسيّة الدريّة)[32] أو (الفارسيّة الإسلاميّة) التي تمثل اللغة الفارسيّة الحديثة التي تطوّرت إلى اللغة الفارسيّة المعروفة اليوم. وكانت اللغة الدريّة من اللغات المستخدمة بنطاق ضيق في إيران، فقد كان يتحدّث بها في بلاط الساسانيين، كما كان يتحدّث بها أيضاً أهل المدائن (طيسفون) عاصمة إقليم فارس ومقرّ حكم الساسانيين.[33] يعود سبب تسميتها بالدريّة إلى أنّها اللغة التي كان يتحدّث بها في البلاط الملكي الخراساني، و(در) أو (دربار) تأتي بمعنى البلاط أو الباب الملكي، حيث إنّها كانت لغة الصفوة من الحاشية، وحين قامت أوّل حكومة قوميّة فارسيّة في ظلّ الخلافة العباسيّة وبرئاسة (يعقوب بن ليث الصفار) في خراسان، دأبت بالعمل على نشر اللغة الفارسيّة الدريّة وخاصةً أنّ يعقوب نفسه لم يكن يجيد العربيّة.[34] وقد أخذت بالانتشار في كافة أقاليم إيران، وكتبت بالخطّ العربي، ممّا شكّل ضربة كبيرة للغة البهلويّة.

31. الخالدي، عبد الله، المجذوب، طلال: مفتاح اللغة الفارسيّة، مصدر سابق، ص 15.

32. (دري) ـاللغة الفارسيّة المتداولة بعد اللغة البهلويّة، ومع تغير طفيف غدت اللغة الحاليّة. فوجه تسميتها كذلك أنّها فصيحة، وتُسمّى بهذا الاسم كلّ لغة غير ناقصة. منسوب إلى البلاط. انظر: محمّد التونجي: المعجم الذهبي (فارسي ـ عربي)، مصدر سابق، ص 265.

33. الصياد، فؤاد عبد المعطي: القواعد والنصوص الفارسيّة، مصدر سابق ص 24.

34. صفا، ذبيح الله، تاريخ أدبيّات إيران، ج1، ط2 (طهران: مؤسّسة انتشارات وجاب دانشكاه، 1352 هـ)، ص 164.

استعانت الفارسيّة (الدريّة) في مراحل تكوّنها الأولى بكافة اللهجات الإيرانيّة الأخرى فأغنتها، وفي الوقت نفسه كان دور اللغة العربيّة كبيراً في رفد هذه اللغة الجديدة بالعديد من المفردات والمصطلحات في مجالات الأدب والفنّ والدين والإدارة والعلم والفلسفة وكذلك المصطلحات العسكريّة وغيرها، حتى بدأت تنافس اللغة العربيّة، إلّا أنّها وجدت صعوبة كبيرة في أنْ تحلّ محلّ اللغة العربيّة في إيران، وكان ذلك قد حدث بعد عدّة قرون من الفتح الإسلامي، بسبب قداسة اللغة العربيّة عند المسلمين من الشعب الإيراني.[35] كما عمل السامانيون الذين حكموا في خراسان وما وراء النهر على تشجيع اللغة الفارسيّة الدريّة، وساندها أيضاً كلّ الدول الإيرانيّة التي قامت تحت ظلال الخلافة العباسيّة كالصفاريين والغزنويين.[36] وبذلك فإنّ اللغة الدريّة تُعدّ من بواكير اللغة الفارسيّة الحديثة. فالفارسيّة الحديثة هي نتاج ما مرّت به هذه اللغة عبر القرون الطويلة من تهذيب وإضافة وحذف ووضع قواعد لهذه اللغة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

خصائص اللغة الفارسيّة

تُعدّ اللغة الفارسيّة من اللغات التركيبيّة التي تعتمد على مبدأ السوابق واللواحق وليست لغة اشتقاقيّة كاللغة العربيّة، أدخل الفُرس اللفظة العربيّة في الفعل الفارسي لرصانة اللفظة العربيّة ومتانتها واتساع دلالاتها، وخاصةً في الفعل المركّب الذي أوجدوه لمجاراة اللغة العربيّة وشموليتها ولكونه أوسع وأشمل من الفعل البسيط في استيعاب التطوّر اللغوي. لذلك نجد أنّ أكثر من خمسين بالمئة من الأفعال المركّبة في اللغة الفارسيّة قد دخلت فيها اللفظة العربيّة. ونجد أنّ اللفظة العربيّة التي دخلت الفعل الفارسي كان لها التأثير المباشر في نظام الجملة في اللغة الفارسيّة، ومنحت اللفظة العربيّة تكاملاً أكثر للجملة من حيث الصرف والنحو.[37] وإذا أردنا أن نتناول الموضوع من الناحية التقابليّة بين اللغة العربيّة والفارسيّة، فإننا سنجد أنّ اللغة الفارسيّة ونظام الجملة فيها قد تكامل بعد دخول اللفظة العربيّة في اللغة عموماً وفي فعل اللغة الفارسيّة خصوصاً، ولمّا كانت اللغة الفارسيّة لغة تركيبيّة، أصبح الفعل فيها يتكوّن من كلمتين أو أكثر، ويُسمّى الجزء الأول من الفعل الفارسي الجزء الاسمي وهو الذي يعطينا المعنى، والجزء الأخير بالجزء الفعلي الذي يحدّد الزمن والفاعل والنفي والإثبات[38] وينقسم إلى قسمين: متعدٍ ولازم، ومن الجدير بالذكر هنا أنّ أغلب الأفعال المركّبة يقابلها فعل بسيط بالمعنى نفسه مثل (استماع كردن/ شنيدن)، لكنّ استعمال الفعل المركّب له وقع أكثر من حيث رصانة الجملة في التدوين والإنشاء، وخاصّة في لغة الأدب والصحافة وسائر

35. الخالدي، عبد الله، المجذوب، طلال: مفتاح اللغة الفارسيّة، مصدر سابق، ص 15.
36. المصدر نفسه، ص 15.
37. أبو القاسمي، محسن، دستور تاريخي مختصر زبان فارسي، ط1، وزارة الخارجيّة الإيرانيّة، طهران، 1998، ص 3 و5.
38. المصدر نفسه، ص 5 و11.

العلوم والمعارف، وقد أصرّ الكتّاب الفرس على استعمال الفعل المركّب مع الجزء العربي لإظهار مهاراتهم اللغويّة وإلمامهم بالثقافتين العربيّة والفارسيّة.[39]

هذا ويرى علماء اللغة أنّ دخول اللفظة العربيّة في النثر الفارسي كان له الدور الأوّل في تطوّر اللغة الفارسيّة؛ ممّا أضفى عليه جماليّة مضاعفة في التعبير والأداء والسرد والاستيعاب، ووصلت تلك الجماليّة إلى الذروة في شعر الشعراء الفرس، إذ كانوا -في مرحلة معيّنة- ينشدون قصائد عربيّة، ثمّ الشعر الملمع (الشطر الأوّل عربي والثاني فارسي، أو العكس). وقد افتخروا بالشعر الملمع لإظهار اطلاعهم على الأدب العربي والفارسي، [40] وقد أنشد فحول الشعراء من الفرس مثل هذه الأشعار ومنهم حافظ الشيرازي، لعلّ أشهرها تلك التي تبدأ بهذا المصراع: أَلا يَا أَيهَا السَاقِي أَدِر كَأسًا ونَاوِلها، [41] ثمّ الشعر باللغة الفارسيّة كاملاً، وخاصّةً في شعر التصوّف والعرفان.

إنّ الحروف في اللغة الفارسيّة هي نفسها في الحروف العربيّة بالإضافة إلى أربعة حروف هي: پ -چ -ژ -گ وتنطق الحروف: ث -س -ص مثل الحرف س. وتنطق الحروف: ذ -ز -ض -ظ مثل حرف ز. والحرفان ت، ط يلفظان ت.

والحرفان ع، أ يلفظان أ. والحرفان ح، هـ يلفظان هـ. والحرف واو يلفظ v إذا كان متحرّكاً أو إذا أتى بعده حرف صوتي مثل: وزير، نويسنده، وطن. ويلفظ أيضاً v إذا وقع في آخر الكلمة وجاء قبله حرف صوتي مثل: ناو (سفينة). أمّا إذا أتى حرف الواو بين حرفي الخاء والألف أو الخاء والياء، فهو غالباً لا يلفظ مثل: خوارزم، خواهر، خويش.

وحرف الألف يكتب بدون همزة مثل: أحمد: احمد. وحرف الياء في آخر الكلمة لا ينطق مثل: مثنوي، مولوي.

لا يوجد ألف مقصورة في اللغة الفارسيّة إلّا في بعض الأسماء مثل: عيسى، مصطفى. كما لا يوجد همزة على حرف الكاف مثل: ك =ک. وحرف هـ إمّا صامت (بى صدا) مثل: روزنامه. أو ناطق (با صدا) مثل: راه ـ ماه. التاء المربوطة إمّا أن تبدل إلى تاء مبسوطة أو إلى هاء ساكنة، أمثلة: ساعة ساعت، مدّة مدت، جائزة جايزه، فاطمة فاطمه.

39. النعيمي، مازن، اللفظة العربيّة في أفعال اللغة الفارسيّة والبسيطة والمركبة، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، المجلد الثامن، العدد الثالث، تموز 2012، ص 39.

40. المصدر نفسه. ص 43.

41. الشيرازي، حافظ، ديوان غزليّات، تحقيق خليل خطيب رهبر، منشورات صفي عليشاه ط 19، طهران 1997، ص1 س 22.

أمّا الضمائر والأفعال، فهي ضمائر المتكلم: الضمائر هي للمذكر والمؤنث معاً ولا يوجد في اللغة الفارسيّة مثنى: أنا: مَن. نحن: ما. وضمائر المخاطبة: أنت: تو (يشمل المؤنث والمذكر) أنتم: شُما (يشمل المثنى والجمع، المذكر والمؤنث). وضمائر الغائب: هو: او (أكثر استخداماً)، آن (يشمل المؤنث والمذكر) هم: آنها (أكثر استخداماً)، ايشان (يستخدم فقط في اللغة الفصحى) (يشمل المثنى والجمع، المذكر والمؤنث). كما تلفظ هذه الضمائر بالعاميّة: او = اون آنها: اونا. إن كنت تخاطب الأكبر منك سنّاً أو شخصاً غريباً أو شخصاً تحترمه (كالتحدّث عن النبي أو الإمام)، تستخدم ضمائر الجمع: ايشان (هم): ايشان يستخدم للغائب المفرد - المؤنث والمذكر (كما يستخدم للجمع فقط في الفصحى. شما (أنتم): يستخدم للمخاطب المفرد - المذكر والمؤنث كما يستخدم للجمع. وعلى العموم تستخدم صيغة الجمع للأفعال في مخاطبة هؤلاء الأفراد.

صعوبات الترجمة من الفارسيّة

بشكل عام هناك صعوبات تواجه المترجم عند مسعاه في عمليّة الترجمة، على سبيل المثال أنّ المعادل من حيث المعنى في اللغة المنقول إليها قد لا يقوم بنقل أو توصيل الرسالة المكتوبة نفسها في اللغة المصدر، أو أن يكون القالب اللغوي الذي تُعرض به الرسالة في اللغة المصدر مختلفاً أو غير كافٍ عن نظيره في اللغة المنقول إليها، وخصوصاً إذا كان ذلك بين لغتين تختلفان من عدّة نواح كاللغة العربيّة والفارسيّة. هذا ويجمع دارسو الترجمة على أنّ من أعظم مشاكل الترجمة هو عجز المترجم عن توصيل المعنى الدقيق في النصّ الذي يريد نقله إلى اللغة الأخرى، وترجع هذه المشكلة إلى عدّة عوامل؛ أهمّها: أنّ كلّ لغة تحمل في طيّاتها العديد من المرادفات التي تختلف في معانيها اختلافاً طفيفاً عن بعضها البعض، وأنّ كلّ لغة تنتمي إلى ثقافة معيّنة. إضافة إلى أنّ كلّ لغة ذات طابع خاص في تشكيل الجملة وترتيب مفرداتها (قواعدها) فمثلاً، تحمل اللغة العربيّة في طيّاتها الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة، بينما ذلك غير موجود في اللغة الفارسيّة، فكلّ الجمل في الفارسيّة جمل فعليّة، لذا فاختلاف قواعد اللغات يؤدّي إلى مشاكل في الترجمة.

بالإمكان تقسيم الصعوبات التي تواجه المترجم من الفارسيّة إلى العربيّة إلى:

أ. الصعوبات اللغويّة:

ونرى أنّها تنقسم إلى: أوّلاً تركيب اللغة: ويعني أنّ لكلّ لغة تركيباً خاصّاً بها، وقد تحدثنا فيما سبق عن خصوصيّات الفارسيّة، فإنّ الجملة فيها فعليّة ولا توجد فيها جملة اسميّة على غرار العربيّة. ثانياً: مصطلحات وتعابير اللغة: ونريد بها تلك الجمل التي لا تستطيع قواميس الترجمة مهما بلغت دقتها

واحترافيتها ترجمتها، فهي متعلقة بثقافة وتقاليد أصحاب اللغة الأصليين. وفي هذا المجال نعتقد أنّ المترجم يواجه مشاكل لا تُعدّ ولا تحصى، خاصّة في مجال ترجمة القصّة والرواية والأدب بشكل عام، إذ لا ينفعه فهم الفارسيّة فحسب، بل ينبغي أن تتوفر لديه عدّة شروط للبدء بالترجمة منها معرفة الثقافة الفارسيّة، والأهمّ من هذا معرفة اللهجات الفارسيّة وإن كانت اللهجة الطهرانيّة هي الغالبة عند بعض الروائيين. لكن مع هذا وحتى إن عرفنا الثقافة الفارسيّة خير المعرفة، فإنّه تبقى هناك مشاكل عويصة تعود إلى التاريخ وتاريخ الثقافة الفارسيّة بالتحديد، نرى أنّه على المترجم أن ينحو منحى آخر في نقل الفحوى. في ترجمة البومة العمياء نرى المترجم ترجم عبارة: چهارشنبه اخر سال رفته بود فال گوش... وفي الأربعاء الأخير من السنة أحضرت تفاؤلاً[42] وكما يقول أنور رصافي: أحضرت تفاؤلاً ليست ترجمة دقيقة لفال گوش التي هي من العادات القديمة عند الفرس وكان يقوم بها من لهنّ حاجة من النساء في الأربعاء الأخيرة من السنة وذلك بالوقوف في إحدى الطرق أو الميادين العامّة لسماع أوّل ما يطرق سمعهنّ ممّا يتفوّه به المارّون من كلمات ثمّ تفسيرها بطالع حسن أو سيّئ.[43] ناهيك عن ترجمة «چهارشنبه سوري» وهي الأربعاء الأخيرة من السنة الفارسيّة التي يقومون فيها بطقوس القفز من على النار للتطهير وفقاً لمعتقداتهم. هذا وأشرنا في السطور السالفة إلى تغيير مدلول المفردة العربيّة في الفارسيّة وقد أتينا بمثال واحد وهو مفردة مصرف، لا نريد الإطالة لأنّنا نرى أنّ المثال هذا يكفي ليعرف القارئ مدى التحوير والتغيير الذي تتعرّض له المفردة العربيّة في الفارسيّة، إضافة إلى هذا فـإنّ المفردات التي دخلت الفارسيّة دون تغيير لا تحمل المدلول نفسه عند العربي، فالفارسي يفهم من المفردة العربيّة ذلك الفهم الذي وصل إليه عبر تاريخ طويل من استخدام المفردة في العقليّة الفارسيّة. وخاصّة بالنظر إلى الجانب الديني. على سبيل المثال مفردة الإمام مرتبطة بظلال المعاني المستمدّة من تاريخ الشيعة، إذ أوّل ما يخطر ببال الشيعي عند سماعه مفردة الإمام هو أهل البيت والمفاهيم الكثيرة التي تأتي مرافقة لها. أمّا المفردة نفسها، فلا تحمل ذلك الطابع المقدّس عند أهل السنّة كما هو عند الشيعة فأطلقت على أشخاص لا قداسة لهم.

ب. الصعوبات الفكريّة واختلاف البيئتين:

لا يمكن الحديث عن نوع واحد من الصعوبات في هذا المجال، بل هناك أنواع مختلفة من الصعوبات تطلّ برأسها أمام المترجم. صحيح أنّ التقارب الثقافي الناجم عن الدين وبالتالي التاريخ الديني المشترك بين الشعبين يسهّل الأمر للمترجم لكن تبقى هناك مشكلة عويصة تتجلّى في استخدام الفارسي مفردات ذات أصول دينيّة على سبيل المثال، إذ تحمل تاريخاً من العقليّة الفارسيّة في استخدام هذه المفردة، إضافة إلى استخدام

42. شتا، إبراهيم الدسوقي، البومة العمياء، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب (1976)، ص 146.

43. رصافي، أنور، دراسة تطبيقيّة لمبدأ التكافؤ في الترجمة (من الفارسيّة إلى العربيّة)، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر. ط1، 1433، ص 73.

مفردات عربيّة يتغيّر مدلولها تماماً في الفارسيّة. وخاصّة في الحقل السياسي بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، إذ نرى أنّ الكثير من المصطلحات أصبحت حاملة مفهوماً أشدّ فتكاً من السبّ والشتم، وخاصّة مصطلح الشيوعيّة بعد انتصار الثورة أو مفردة العميل لأمريكا وأعوانها ومؤخّراً مفردات الإرهابي والداعشي. لهذا على المترجم أن ينتبه إلى أنّ إطلاق الشيوعي على الفرد لا يعني ذلك المفهوم الرائج في العالم بل عليه أن يجد مكافئاً مطابقاً للعقليّة الفارسيّة التي أطلقت على الآخر العدوّ هذه الصفة.

نماذج من الصعوبات الترجميّة على مستوى الألفاظ

تحدّث كثير من المؤلفين والمترجمين عن الصعوبات في جانب الألفاظ لعلّ أنفع ما بأيدينا هو لمحمّد عناني في مؤلفه فنّ الترجمة[44]، إذ قسّمها إلى:

أ. المجرّدات العامّة: ويريد بها عقبة الاختلاف الثقافي والحضاري بمعنى اختلاف دلالات الأشياء عنها في العالم الآخر الناطق بغير العربيّة. ويضيف أنّ المترجم دائماً في حاجة إلى التقريب بين معاني هذه الكلمات وتلك، وأحياناً ما ينجح، وكثيراً ما يفشل.[45] في النظرة الأولى لا نكاد نجد الاختلاف الثقافي والحضاري كبيراً بين اللغة الفارسيّة والعربيّة، وذلك للعامل الديني وتكوين ثقافة الشعب الفارسي على أسس الحضارة الإسلاميّة، لكنّ هذا يبقى في الظاهر ولا يعني شيئاً عندما نتعمّق في الأمر لنرى أنّ هذا الشعب قد استمدّ عقليّة وصوراً تعود إلى ما قبل الإسلام امتزجت والعقليّة العربيّة فأضيف الكثير إليها وحذف الكثير منها. فالمجرّدات في كلّ لغة يقف خلفها مفكّرون وفلاسفة وكتّاب وشعراء، لا مفرّ لنا من معرفة تلك الخلفيّات إذا ما أردنا ترجمتها إلى لغة أخرى بالدقة نفسها والإمعان نفسه. على سبيل المثال عندما تريد الحديث عن المذهب الشيعي كما هو في إيران فلا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار كلّ المعتقدات التي ورثها الفارسي ومزجها والمذهب الشيعي فأضاف إليها وحذف منها الكثير من الأشياء، ممّا جعل المفكّر الإيراني يؤلف كتاباً بعنوان التشيّع الصفوي والتشيّع العلوي.[46] إذا ما نظرنا إلى جانب الترجمة من العربيّة إلى الفارسيّة نرى من المفيد أن نتطرّق إلى الأمر مستشهدين بمثال واحد؛ فلننظر إلى ترجمة "رحمة" كما وردت في الآية (24) من سورة الإسراء: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ" ترجمها إلهي قمشه أي: كمال مهرباني أي قمّة المحبّة: وهميشه پر وبال تواضع وتكريم را با كمال مهربانى نزدشان بگستران.[47] (تعني افرش لهما دائماً

44. عناني، محمّد، فنّ الترجمة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر ـ لونجمان، عام 2000، ص 11.

45. المصدر نفسه، ص 11.

46. شريعتي، علي، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي. ترجمة: إبراهيم دسوقي الشتا، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، 2002، 336 صفحة.

47. القرآن الكريم/ ترجمه محي الدين مهدي الهى قمشه أي؛ خط وتذهيب محمّد سعيد اهري زاده مشخصات نشر: قم: فاطمة الزهراء(س)، 1378 ص 122.

جناح التواضع والتبجيل في قمّة الرحمة) بينما ترجمها المرجع الشيعي مكارم شيرازي: بالمحبة واللطف: وبالهاى تواضع خويش را از محبّت ولطف، در برابر آنان فرود آر.[48] (واخفض لهما أجنحة تواضعك محبّة ولطفاً) لا نريد القول إنّ الاثنين لم يسعيا إلى إيجاد الحالة الثقافيّة التي تتطلّب تحديد نوع القارئ، بقدر ما قدّموا ترجمة للمفردة هادفين إلى نقل المعنى. الشكّ في الترجمة يتجلّى في ترجمة مفردة واحدة عند الاثنين؛ فعند الأوّل نجد أنّها تعني قمّة المحبّة، وعند الثاني تعني المحبّة واللطف. إضافة إلى ترجمة المفرد بصيغة الجمع عند الشيرازي أي جناح بأجنحة وإضافة دائماً في الفارسيّة عند الأوّل. وإن حاول الأوّل إضافة مفردات تعبّر عن الإجلال وعن مكانة الوالدين، لأنّ الكمال في الفارسيّة يحمل مفهوم التبجيل والإجلال، لكنّ الشيرازي استخدم مفردة الحبّ واللطف. في المقابل وعند الترجمة من الفارسيّة إلى العربيّة نرى أنّ الأمر يصعب بل يستحيل أحياناً، إذ لا بدّ من نقل المفردة العربيّة كما هي، بدلاً من الترجمة، كما فعل مترجم كتاب "صراط هاي مستقيم"، فاستخدم المفردة نفسها بطابع عربي وترجمها بصيغة الجمع المؤنث أي الصراطات المستقيمة، [49] وذلك لأنّه بالإمكان جمع هذه المفردة في العربيّة دون أن نواجه مشكلة، لكن وإن كان جمعها "صرط" فإنها لا تستخدم في العربيّة. هذا في جانب المفردات، أمّا عند ترجمة العبارات، فالأمر يزداد صعوبة وخاصّة في النصوص الشعريّة، والمشكلة الأخرى في ترجمة الشعر تكمن في أنّ الشعر يرتبط في جميع اللغات ارتباطاً وثيقاً بالعادات والتقاليد الوطنيّة والعقائد الدينيّة والثقافات وأيضاً الحصيلة الذهنيّة لكلّ شعب من الحكايات والأساطير الوطنيّة والقصص والاعتقادات العاميّة وأمثالها، وبعبارة أخرى إنّ جزءاً من الخيال الشعري تشكّله تلك الأمور[50]: نظير ما أنشده حافظ الشيرازي:

بوى پيراهن يوسف از صبا مى شنوم شادى آورد گل وباد صبا شاد آمد

فليس كلّ من طرق سمعه هذا البيت يحلّق خياله الشعري بعيداً، بل يختصّ بمن له إلمام بقصّة يوسف من القرآن، أمّا من كان بعيداً عن تلك الأجواء، فلا يساوره أيّ شعور.[51]

أضف إلى هذا ترجمة الإيقاع في الشعر، "وهو اصطلاحاً يتضمّن إلى جانب التدفق والتكرار المنتظم عنصر النمط، أي إمكان إدراك السامع أو الرائي للوحدات التي تشكّل فيما بينها أنماطاً، بمعنى أنّ الوحدة الصغيرة التي قد تتكوّن من ضربتين قد تتكرّر بحيث تشكّل نمطاً يتكوّن من عدّة وحدات يجمع بينها جامع، والفيصل في هذا هو الممارسة الفنيّة. ولكنّ الإيقاع في اللغة لا يعتمد على الوزن وحده فليست الأوزان

48. القرآن الكريم/ ترجمه مكارم شيرازي، تهران: دفتر مطالعات تاريخ ومعارف اسلامي، 1380، ج 12 سوره اسراء.

49. الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظريّة التعدديّة الدينيّة، عبد الكريم سروش، ترجمة أحمد القباني، بيروت: دار الانتشار العربي، 2009، 327 صفحة.

50. رصافي، أنور، دراسة تطبيقيّة لمبدأ التكافؤ في الترجمة، مصدر سابق، ص 159.

51. فن ترجمه از ديدگاه استادان وصاحب نظران ترجمه على جانزاده، انتشارات جانزاده، ط3، 1389، ص21.

قوالب مجرّدة... لكنّها هي الأصوات نفسها التي تشكّلها اللغة".[52] وكما يقول عناني: "تصبح لكلّ قصيدة أنماطها الصوتيّة التي من المحال تجريدها إلّا في حدود ما يضطّر إليه الباحث للتبسيط، ومن المحال كذلك استبدال أنماط صوتيّة أخرى بها دون تغيير في الدلالة الفنيّة أي في المعنى الشعري".[53] ونأتي بمثل من مثنوي معنوي للشاعر الفارسي جلال الدين الرومي الشهير بمولوي:

آن شنيدستى كه در عهد عمر　　بود چنگى مطربى با كر وفر

بلبل از آواز أو بىخود شدى　　يک طرب ز آواز خوبش صد شدى

قد ترجمها الدسوقي:

هل سمعت أنّه كان في عهد عمر مطرب عازف صنج ذو صيت وأبّهة؟

كان البلبل من حسن صوته يغيب عن الوعي ودور واحد من غنائه كان يتحوّل إلى مئة دور.[54]

يتجلّى الإيقاع في شعر مولوي في إعادة حرف الراء في البيت الأوّل وفي إعادة حرف الشين في البيت الثاني، إذ جاء في نهاية المصراع. أمّا في البيت الثاني، فإنّ تكرار حرف الألف قد أضفى على الشعر جمالاً ووزناً ما أن تقرأه بالفارسيّة أو تسمعه حتى يتجلّى الوزن لك. أمّا الترجمة، فيبدو أنّها لم تهتمّ بالإيقاع وركّزت على نقل المفردات بأفضل ما يمكن، وإن أضافت الكثير على الترجمة، إذ كان بالإمكان أفضل ممّا كان.

ب. المجرّدات الحديثة: عند عناني ترتبط بمجرّدات حديثة في معظم لغات العالم، وهي لا تتمتع بالعمق التاريخي نفسه الذي يهبها الثراء في المعنى الذي أشرت إليه، وهذا ما يجعل التقابل بينها يسيراً.[55] من أبرز الأمثلة في هذا المجال، وهي من إنتاج الثورة الإسلاميّة في إيران، ترجمة مفردة رهبر وهي مفردة مستمدّة من التراث الشيعي كما تبلورت في أفكار فقهاء وعلماء الشيعة في نهاية القرن المنصرم وبالتحديد في نظريّة ولاية الفقيه، حيث أكّدت على وجوب تولّي فقيه جامع للشرائط منصب قيادة البلاد فأطلقت عليه «رهبر انقلاب». وقد ترجمت مرشد الثورة أو المرشد الأعلى للثورة، بينما الترجمة الصحيحة لمفردة رهبر هي: القائد. هذا إضافة إلى الكثير من المفردات التي ظهرت في الساحة بعد الثورة الإسلاميّة، إمّا نتيجة الصراع

52. رصافي، أنور، دراسة تطبيقيّة لمبدأ التكافؤ في الترجمة، مصدر سابق، ص 159.

53. عناني، محمّد، الترجمة الأدبيّة بين النظريّة والتطبيق. ص 91.

54. مولانا جلال الدين الرومي، مثنوي، ترجمه وشرحه، إبراهيم الدسوقي شتا، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1996، ص 196.

55. عناني، محمّد، مصدر سابق، ص 28.

مع الخارج وإمّا الصراعات الداخليّة التي تعصف بالأحزاب والشخصيّات السياسيّة، ومنها على سبيل المثال: خودي ها وغير خودي ها[56]، وخاصّة أنّه كان لهذه الصفات صدى واسع في عهد الإصلاحات.

ت. مفردات خاصّة باللغة الفارسيّة: إذا ما أردنا تقديم قائمة من هذه المصطلحات، فعلينا إعداد كتاب في هذا المجال لكثرتها، والأسباب في ذلك تختلف ولعلّ أبرزها محاولة الأوساط الثقافيّة الفارسيّة إبداع مفردات خاصّة بالفارسيّة التي إمّا هي فارسيّة بالأصل، وإمّا ممزوجة من مفردة غير فارسيّة واللواحق الخاصّة باللغة الفارسيّة.

النصوص الدينيّة أنموذجاً

المشكلة كما نرى هي كيف نختار المعنى الذي نظنّه أقرب المعاني إلى الكلمة الواردة في السياق؟ وهل من حقنا اختيار كلمتين لترجمة كلمة واحدة؟ وإن كنّا سنفعل فأيّ الكلمات نختار؟ المشكلة في رأيي تتمثل في أنّنا نقدّم نصّاً خاصّاً يتطلّب من المترجم أن يقرّر بداية إذا كان عليه أن ينقل المعنى المجرّد فحسب أيّاً كانت الألفاظ المستخدمة، أم أنّ عليه إيجاد حالة ثقافيّة بين النصّ المترجم والقارئ تشبه الحالة الثقافيّة القائمة في النصّ الأصلي. إنّ لغة القرآن لغة فريدة ومن ينشأ عليها، مثلما نشأت، يجد في نفسه معاني كثيرة لكلّ كلمة بعضها ظاهر وبعضها خفي، كما يجد أنّ دلالات ألفاظ الكتاب الكريم كثيراً ما تختلط بالمشاعر التي تدفّ بين جوانحه منذ الطفولة... وإيجاد الحالة الثقافيّة يتطلب تحديداً لنوع القارئ ومن يقرأ هذه الترجمة لمعاني القرآن. إنَّه لا شكّ معاصر ولغته هي اللغة الحديثة، فكيف يمكن أن نوحي له بالمعاني الخفيّة دون الاستعانة بكلمات لها من عمق التاريخ ما لمعاني كتاب الله العظيم؟ هذه مهمّة شبه مستحيلة، ولذلك أجدني أميل إلى الحالة الأولى، وهي نقل المعنى فحسب أيّاً كان عدد الألفاظ المستخدمة في نقله.[57]

المشكلة إذن هي أنَّه يكاد يكون من المحال تطابق دلالات الكلمات المجرّدة أسماء كانت أو أفعالاً بسبب دلالتها على مفاهيم ذات جذور عميقة في تراث كلّ لغة، بعضها ديني ولكنّ معظمها ثقافي أو حضري، ولكلٍّ منها تاريخ طويل أوجدها في سياقات مختلفة ووهبها معاني مختلفة.[58]

56. ربّما تعني من هم في دائرة أصدقائنا أو الخارج منها.

57. عناني، محمّد، فنّ الترجمة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر-لونجمان، ط5، 2000، ص 18.

58. المصدر نفسه، ص 23.

تصنيف ترجمة معاني القرآن إلى الفارسيّة

نعرف أنّ هناك صنفين لترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى: إن لوحظ فيها ترتيب ألفاظ القرآن، فهي الترجمة الحرفيّة أو اللفظيّة أو المساوية، وإن لم يلاحظ فيها هذا الترتيب، فتلك ترجمة القرآن التفسيريّة أو المعنويّة.[59] وإن لم تلتزم الترجمتان المراد بحثهما في بحثنا هذا بكلّ سمات التصنيف أعلاه، يمكننا إدراج ترجمة مكارم في الصنف الأوّل وترجمة قمشه أي في الصنف الثاني بتسامح.

بداية نورد ترجمة المترجمَين كما هي، ثمّ نشرح المفردات الفارسيّة أي نقوم بالترجمة إلى العربيّة كي نرى كيف ترجم المترجم ونقل الفحوى إلى الفارسيّة، ولسنا نريد إطلاق الحكم، لكن نقول بداية إنّ ذلك يبدو مستحيلاً نظراً إلى فحوى السورة والأجواء التي تسير فيها الآيات ونظراً إلى طبيعة اللغة الفارسيّة والتغييرات التي شهدتها طوال قرون وقرون وصولاً إلى ما هي الآن عليها.

1- الحرفيّة: مكارم الشيرازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند رحمتگر مهربان الْقَارِعَةُ (١) آن حادثه كوبنده، (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وچه حادثه كوبنده اي؟! (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) وتو چه مي‌داني كه حادثه كوبنده چيست؟ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) روزي كه مردم مانند پروانه هاي پراكنده به هر سو مي‌دوند. (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) وكوه ها مانند پشم رنگين حلاجي شده مي‌گردد. ... فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) پناهگاهش هاويه (دوزخ) است.[60]

لجأ الشيرازي إلى الترجمة الحرفيّة للمفردات الرئيسيّة للسورة، فزاد على ترجمة الآية الأولى اسم الإشارة (آن) التي تعني تلك، وهو بهذه المفردة ظنّ أنّه يجد المكافئ لهذه المفردة. ومفردة (حادثة) وتحمل المعنى العربي نفسه لها، ليصل المفهوم إلى القارئ، علماً بأنّ كوبنده في الفارسيّة تحمل معاني كثيرة ومنها قرع، ولا تستخدم اليوم في الفارسيّة إلّا ما قلّ وندر، بل كانت تستخدم في النصوص القديمة. ويستخدم فعل كوبيد بمعنى الضربة القويّة أحياناً، فالمترجم لم يسعَ إلى البحث عن المكافئ مكتفياً بمفردة في الفارسيّة لا تكاد تستخدم في يومنا هذا إلّا في الكتب. "كوبنده" تعني الضارب، وقد وردت في الأشعار الفارسيّة القديمة منها: عمودى كه كوبنده هومان بود تو آهن مخوانش كه موم آن بود. كما وردت على لسان فردوسي في شاهنامه وتعني الضارب. ترجم وما القارعة: يا لها من حادثة قارعة؟ بأسلوب يثير الدهشة في نفس القارئ،

59. عبد الموجود، أحمد، الوحي في الأديان، ص 870.

60. إليكم ترجمة، ترجمة الشيرازي إلى العربية: تلك الحادثة القارعة. يا لها من حادثة قارعة. وما تعرف ما هي الحادثة القارعة. يوم يركض الناس إلى كلّ حدب وصوب كالفراشات المبثوثة. وتندف الجبال كالصوف الملوّن. ملجأه الهاوية (جهنم).

فحوّل أسلوب السؤال إلى أسلوب استفهامي مثار للخوف والدهشة. في ترجمة الآية الثالثة استمرّ على المنوال نفسه فزاد مفردة الحادثة والتزم بالأسلوب الاستفهامي إلى جانب الالتزام بنقل المفردات حرفيّاً. في الآية الرابعة إذ يبلغ الخوف من القيامة ذروته، كما نرى، ترجم الآية كما هي؛ والملفت للنظر أنَّ الفَراش يظهر في الربيع ويطير إلى كلّ صوب ويثير الفرح في نفوس الناظرين، فهذا يناقض ما تريد الآية الوصول إليه، وهنا أرى أنّه كان على المترجم إيضاح الأمر، ثمّ استخدم فعل مي دوند وتعني تركض بالفارسيّة، ولا أعرف لماذا لم يستخدم فعل تطير وهو فعل الفراشة فلا خوف هنا يثار ولا وجل يؤجّج. أمّا الآية الخامسة التي نرى استحالة ترجمتها من دون شرحها شرحاً وافياً، وحتى هذا الأمر يصدق على اللغة العربيّة إذ لا يمكن إيصال الأمر من دون اللجوء إلى الشرح، فقد قال المترجم: وتندف الجبال كالصوف الملوّن. ترجم "أمّه" إلى ملجأ، ولم يترجم "الهاوية" بل استخدمها من دون أل التعريف وترجمها بين قوسين "جهنّم".

2- التفسيريّة: قمشه أي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ به نام خداوند رحمتگر مهربان الْقَارِعَةُ (١)قارعه. (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) قارعه چيست؟ (همان روز وحشت واضطراب مرگ وقيامت است كه دلهاى خلايق را از ترس در هم كوبد). (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) وچگونه حالت آن روز هولناك را تصور توانى كرد؟ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (۴) در آن روز سخت، مردم مانند ملخ هر سو پراكنده شوند. (۴) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۵) وكوهها همچون پشم زده شده متلاشى گردد فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) جايگاهش در قعر هاويه (جهنم) است.[61]

من المعروف أنَّ قمشه أي يقدّم ترجمة مرفقة بالتفسير تجعل ترجمته إيديولوجيّة وتفتقد إلى الدقة في كثير من الأحيان أو قلْ قابلة للنقد والرفض، لم يبذل جهداً في ترجمة مفردة القارعة فأوردها بدون أل التعريف بداية ثمّ فسّرها في الآية الثانية بالقول: (هي يوم الخوف والرهبة واضطراب الموت والقيامة التي تقرع قلوب الخلق خوفاً)، وترجم ما أدراك ما القارعة، بـ كيف يمكنك رسم صورة ذلك اليوم الرهيب. ترجم الآية الرابعة: في ذلك اليوم العصيب يكون الناس كالجراد يتطايرون إلى كلّ صوب وحدب. والملفت أنَّ القرآن استخدم مفردة الفراش ولا نرى أنّها تحمل غموضاً يجعل المترجم يغيّرها إلى الجراد، إلّا إذا ذهب إلى ما ذهبنا إليه عند نقل ترجمة مكارم للقرآن، ونرى أنّه اعتمد على الأحاديث والروايات التي فسّرت الآية؛ نرجع إلى هذا الأمر لاحقاً. مهما يكن من الأمر ونحن لا نعرف دافعه، لكنّ هذا الأمر يعبّر

61. إليكم ترجمة، ترجمة قمشه أي إلى العربيّة: ما القارعة (هي يوم الخوف والرهبة واضطراب الموت والقيامة التي تقرع قلوب الخلق خوفاً) وكيف يمكنك رسم صورة ذلك اليوم الرهيب. في ذلك اليوم العصيب يكون الناس كالجراد يتطايرون إلى كلّ صوب وحدب. والجبال تتلاشى كالصوف. ومكانته في قعر الهاوية (جهنم).

عن ضعف المترجم في البحث عن المفردة. ترجم الآية الخامسة: الجبال مثل المندوفة!!! تتناثر. ولا نعرف ما المندوفة. أمّا في ترجمة الآية التاسعة، فترجم أمّه إلى مكانته وأضاف قعر الهاوية، وهل هناك قعر للهاوية ومبدأ ومنتهى!

فيما يلي نتطرّق إلى الترجمتين من زاوية نظريّات الترجمة الثقافية، ونعرف أنّها تنقسم إلى السوسيوثقافيّة لصاحبها نيو مارك والوظيفيّة. نلقي أوّلاً نظرة على النظريتين:

1. النظريّة السوسيوثقافيّة لبيتر نيو مارك: [62] اهتمّت هذه النظريّة بالمعنى الثقافي معتبرة أنّ اللغة هي الثقافة، والترجمة تعبير عن اللغة مستندة إلى نظريّة اللغات لسابير وورف التي تقول إنّ كلّ لغة لا تقدّم وسائل الاتصال لمتحدّثيها فحسب، بل تفرض عليهم رؤية مختلفة عن العالم، وهي طريقة مختلفة لتحليل التجربة. ويرى نيو مارك أنّ الترجمة مبنيّة على ثلاث ثنائيّات: الثقافتان الأصليّة والأجنبيّة واللغة المصدر واللغة الهدف والكاتب والمترجم وظلال القراءة. وأوضح نيو مارك أنّ من أهمّ الصعوبات التي تواجه المترجم هي المقاربة بين الثقافة الأصليّة والأجنبيّة.[63]

وفقاً لهذه النظريّة فإنّ القرآن نزل بلغة العرب وسط أجواء ثقافيّة خاصّة فرضت عليهم رؤية عن العالم، رؤية يمتزج فيها السحر والخيال والواقع، نتيجة قوّة اللغة التي جعلتهم يسيرون في الخيال حتى ولو أرادوا التعبير عن الواقع كي يترك الكلام تأثيره على المخاطب، ثقافة بدأ الشعر يحتلّ المركز فيها منذ المعلقات والبلاغة بلغت أوجها قبل الإسلام. إنَّ الشعر والبلاغة والكلام بحاجة إلى عنصر السحر في الكلام والخيال الواسع، فما أن يلجأ الشاعر إليها حتى يبتعد عن الواقع، ويرسم الواقع بريشة الخيال. من جهة أخرى كان لمفاهيم ما وراء الطبيعية دور بارز في تلك البيئة، منها وادي عبقر والسحر والعين. المترجم الفارسي عليه أن ينقل كلّ هذه الأمور إلى القارئ الفارسي حتى يمكّنه من استيعاب هذه الفضاءات التي يصعب عليه أن يستوعبها، خاصّة إذا لم يكن من المؤمنين بهذه القضايا. فالقارعة ترسم لنا أجواء القيامة بأسلوب فريد بنوعه؛ الخوف والهلع والوجل في الذروة والمفردات التي وظفت لهذا الغرض هي في الذروة كذلك. المشاهد التي رسمت لإيضاح ما يحدث يوم القيامة مشاهد مرعبة: الناس يصبحون كالفراش والجبال كالعهن. الجبل ما زال في مخيلة الإنسان عبارة عن أمر جبّار لا يمكن تدميره فإنّه عمود الأرض. لكنَّه في ذلك اليوم يصبح كالعهن والناس من شدّة الهلع يصبحون كالفراش المبثوث أي الطير الذي يتساقط في النار والسراج كما قال قتادة يتساقط. وفي صحيح مسلم عن جابر، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مثلي ومثلكم كمثل

62. NEWMARK, Peter, A. Textbook of Translation, 8th ed. Edinburgh, Longman .2003

63. صديق أحمد علي، استراتيجيّات الترجمة الثقافيّة، امارباك، المجلد الرابع، العدد الحادي عشر 2013.

رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبّهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي".[64] وقال في موضع آخر: كأنّهم جراد منتشر. فأوّل حالهم كالفراش لا وجه له، يتحيَّر في كلّ وجه، ثمّ يكونون كالجراد؛ لأنّ لها وجهاً تقصده. والمبثوث: المتفرّق والمنتشر. وإنّما ذكر على اللفظ: كقوله تعالى: أعجاز نخل منقعر، ولو قال المبثوثة، فهو كقوله تعالى: أعجاز نخل خاوية. وقال ابن عباس والفرّاء: كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد، يركب بعضها بعضاً. كذلك الناس، يجول بعضهم في بعض إذا بعثوا.[65]

إنَّ فهم الثقافة الأصليّة يساعد على فهم عبارة أمّه هاوية، ومن دونها يسقط المترجم في اختبار الترجمة هنا. المراد من كون أمّه هاوية أنّ مرجعه الذي يأوي إليه مهواة سحيقة في جهنم يهوي فيها، كما يأوي الولد إلى أمّه، قال أميّة بن أبي الصلت: فالأرض معقلنا وكانت أمّنا، فيها مقابرنا وفيها نولد.[66]

2. الترجمة الوظيفيّة: نقلت نظريّات الترجمة الوظيفيّة والتواصليّة التي تمّ تطويرها في ألمانيا في السبعينيّات والثمانينيّات من القرن الماضي الترجمة من كونها ظاهرة لغويّة جامدة إلى عدّها فعلاً من أفعال التواصل البين-ثقافي. ويربط عمل رايس Reiss الأساسي وظيفة اللغة ونوع النصّ والجنس باستراتيجيّة الترجمة. أدمج منهج رايس لاحقاً بنظريّة الهدف Skopos theory[67] المؤثرة جداً لصاحبها فيرمير Vermeer، حيث تتقرّر استراتيجيّة الترجمة بواسطة وظيفة النصّ الهدف في ثقافة الهدف. ونظريّة الهدف هي جزء من نموذج الفعل الترجمي translational action الذي اقترحته هولز مانتاري Holz-Mänttäri والذي يضع الترجمة التجارية المهنيّة ضمن سياق اجتماعي ثقافي مستعملاً مصطلحات العمل والإدارة. وينظر إلى الترجمة بوصفها صفقة تواصليّة تشتمل على المنشئ والمفوض والمنتجين والمستخدمين ومستلمي نصيّ الأصل والهدف. وفي هذا النموذج، ينزل نصّ المصدر عن عرشه وتقيم الترجمة ليس عن طريق تكافؤ المعنى بل عن طريق كفايتها طبقاً لهدف موقف نصّ الهدف كما يعرّفه التفويض. ويبقى نموذج نورد Nord المصمّم لتدريب المترجمين على السياق الوظيفي، لكنّه يُضمّن نموذجاً لتحليل نصّ المصدر أكثر شموليّة.[68]

---

64. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، قدّم له وصحّحه أحمد شمس الدين، الجزء الرابع، باب الفضائل ص 500 دار الكتب العلمية بيروت. بيروت ١٤٠٣هـ.

65. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ضبطه وحققه سالم مصطفى البدري، المجلد العاشر، الجزء التاسع عشر، ص 74، دار الكتب العلميّة بيروت، سنة 2000.

66. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، خرّج آياته وأحاديثه باسل عيون السود، الأجزاء 28-29-30، ص 481، دار الكتب العلميّة، بيروت 2006.

67. Vermeer, H. Skopos and Commission in Translational Activity. In: L. Venuti. The Translation Studies Reader. London: Routledge, 1989

68. ملخص نظريّة الترجمة، جيريمي مندي، ترجمة وإعداد: ا.د. كاظم العلي موقع:

http://www.alnoor.se/article.asp?id=54582

من هذه الزاوية يبرز هذا السؤال: هل نجحت الترجمة في إيصال المقصود وتحقيق الهدف أم لا؟ هل أثارت الخوف في نفوس المخاطب الفارسي ورسمت معالم يوم القيامة ومشاهدها حيث الناس يشبهون الفراش والجبال تشبه العهن؟ وهل نقل مفهوم أمّه هاوية؟ نظراً لما جاء في السطور السالفة نرى أنّ الترجمة أخفقت في نوال مراميها.

آخر الكلام

نرى أنّ ترجمة الشيرازي تتميز بالسمات التالية: تحويل أسلوب السؤال إلى أسلوب التعجب. اللجوء إلى المفردات الفارسيّة القديمة. إضافة مفردات في الترجمة. عدم استيعاب مغزى الآية التاسعة. إضافة إلى أنّ مثل هذه الترجمات، ونراها في جلّ الترجمات الفارسيّة، مثال على الخوف من الترجمة، لقد تركوا كلّ المصطلحات الأساسيّة، كما هي باللغة العربيّة ولم يترجموها، وهذا يعني تجنّب المشاكل والحرج، لأنّهم يرون إمّا أنّ هذه الكلمات معقدة وغير قابلة للترجمة، فهي مفاهيم مركّبة، الأفضل أن تترجم في القواميس وليس في النصوص، فهذا جعل الترجمة ركيكة أو صعبة أو غير مفيدة؛ وإمّا يرون أنّها مفهومة لدى العقليّة الفارسيّة لأنّ المفردات نفسها تُستخدم في الفارسيّة فليست بغريبة عنها. أمّا فيما يتعلق بترجمة قمشه أي، فنرى أنّها تبدأ بما قلنا سابقاً الخوف من الترجمة في ترجمة القارعة، وتظهر ثانية في ترجمة مفردة الهاوية. جاء بتفسيرات تفتقد إلى الدقة مثلاً القارعة ترجمها يوم الخوف واضطراب الموت والقيامة (ركّز على الموت والقيامة). كما غيّر معنى مفردة الفراش إلى الجراد، وكما أوردنا سابقاً يبدو أنّه اعتمد على الأحاديث في الترجمة، وقد أوردنا حديثاً من تلك الأحاديث في هذا المجال، وقد وردت مفردة الجراد هناك. كما أضاف مفردات تدخله في متاهات، كان المترجم غنيّاً عنها مثل قعر الهاوية.

المصادر:

1. القرآن الكريم
2. القرآن الكريم/ ترجمه محيي الدين مهدي إلهي قمشه أي؛ خط وتذهيب محمّد سعيد أهري زاده قم: منشورات فاطمة الزهراء (س)، 1378.
3. القرآن الكريم/ ترجمه مكارم شيرازي، طهران: دفتر مطالعات تاريخ ومعارف إسلامي، 1380.
4. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، قدّم له وصحّحه أحمد شمس الدين، الجزء الرابع، باب الفضائل ص 500 دار الكتب العلميّة بيروت. بيروت ١٤٠٣هـ.
5. أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ضبطه وحققه سالم مصطفى البدري، المجلد العاشر، الجزء التاسع عشر، ص 74، دار الكتب العلميّة، بيروت، سنة 2000.
6. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، خرّج آياته وأحاديثه باسل عبود السود، الأجزاء 28-29-30، ص 481، دار الكتب العلميّة، بيروت 2006.
7. فؤاد عبد المعطي الصياد: القواعد والنصوص الفارسيّة، بيروت: دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، 1986.
8. إدريس بن الحسن العلمي، في التعريب، جمعه وقدّم له أمل العلمي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2001.
9. فضل الهادي وزين محمّد عمر، التفاسير باللغة الفارسيّة واتجاهاتها، رسالة دكتوراه في جامعة الإمام محمّد بن سعود -كليّة أصول الدين -قسم القرآن وعلومه 1416هـ.
10. الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق محمّد عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، 1955 ج1.
11. محمّد التونجي، التسرّب اللغوي بين العربيّة والفارسيّة، مجلة الدراسات الأدبيّة: الجامعة اللبنانيّة، السنة السابعة، العددان 1 و2.
12. محمّد تقي بهار: سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي، مجلد 3، ط4 (طهران: مؤسّسة انتشارات أمير كبير، 1321 هـ. ش).
13. فيكتور الكك: فصول من معالم التراث الفارسي (بيروت: مؤسّسة التخصّص للخدمات الجامعيّة، 1975).
14. الخالدي، عبد الله والمجذوب، طلال: مفتاح اللغة الفارسيّة، بيروت: دار الحق، 2001.
15. إياد محمّد حسين، العوامل المؤثرة في تطوّر اللغة الفارسيّة، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانيّة، العدد الخامس عام 2013.
16. أبو محمّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، شروح الحديث، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، كتاب بدء الوحي.
17. يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، شروح الحديث، شرح النووي على مسلم، دار الخير، سنة النشر: 1416هـ / 1996م.
18. الصيصي، إغناطيوس: اللغة الفارسيّة (خطوة خطوة)، ط1، (بيروت: دار الروضة، 1997).
19. ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات إيران، ج1، ط2 (طهران: مؤسّسة انتشارات وجاب دانشكاه، 1352 هـ).
20. أبو القاسمي، محسن، دستور تاريخي مختصر زبان فارسي، ط 1، وزارة الخارجيّة الإيرانيّة، طهران، 1998.

21. مازن النعيمي، اللفظة العربيّة في أفعال اللغة الفارسيّة والبسيطة والمركّبة، المجلة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها، المجلد الثامن، العدد الثالث، تموز 2012.

22. الشيرازي، حافظ، ديوان غزليات، تحقيق خليل خطيب رهبر منشورات صفي عليشاه، ط19، طهران 1997.

23. إبراهيم الدسوقي شتا، البومة العمياء، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب (1976).

24. أنور رصافي، دراسة تطبيقيّة لمبدأ التكافؤ في الترجمة (من الفارسيّة إلى العربيّة)، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر. ط1، 1433.

25. محمّد عناني، فنّ الترجمة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر ـ لونجمان، عام 2000.

26. علي شريعتي، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي. ترجمة: إبراهيم دسوقي الشتا، دار الأمير للثقافة والعلوم، ط1، 2002، 336 صفحة.

27. الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظريّة التعدّديّة الدينيّة، عبد الكريم سروش، ترجمة أحمد القباني، بيروت: دار الانتشار العربي، 327 صفحة، 2009.

28. حبيب الله بابائي. جدليّة النظر والعمل في التأسيس الإسلامي لإلهيّات الحضارة، ترجمة حسين صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

29. مولانا جلال الدين الرومي، مثنوي، ترجمه وشرحه، إبراهيم الدسوقي شتا، الجزء الأوّل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1996.

30. محمّد عناني، الترجمة الأدبيّة بين النظريّة والتطبيق تأليف ـالناشر: لونجمان ـالقاهرة طبعة: 2003، 258 صفحة.

31. علي جانزاده، فن ترجمه از ديدگاه استادان وصاحبنظران ترجمه، انتشارات جانزاده، ط3، 1389.

32. جيريمي مندي، نظريّة الترجمة، ترجمة وإعداد: أ. د. كاظم العلي موقع:
http://www.alnoor.se/article.asp?id=54582

33. NEWMARK, Peter, A Textbook of Translation, 8th ed., Edinburgh, Longman, 2003.

34. Vermeer, H. Skopos and Commission in Translational Activity. In: L. Venuti. The Translation Studies Reader. London: Routledge, 1989.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019